سلسلة كتب التصوف الإسلامي

الكتاب السابع والعشرون

ذكر الله سبحانه وتعالى

نجاة من عذابه وطريق إلى محبته

للدكتور الحسيني أبو فرحة

أستاذ ورئيس قسم التفسير

بجامعة الأزهر

سلسلة كتب التصوف الإسلامى

الكتاب السابع والعشـــرون

ذكر الله سبحانه وتعالى

نجاة من عذابه وطريق إلى محبته

للدكتور الحسينى أبو فرحة

أستاذ ورئيس قسم التفسير

بجامعة الأزهر

ذكر الله تعالى

ذكر الله تعالى هو روح العبادة وغايتها، وذروة سنامها، ويكفى دليـــلا علـــى ذلك أن الصلاة وهى عماد الدين، إنما شرعت لتوصل إليه. قال تعالى:﴿إننى أنـــا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى﴾ (طه:١٤).

كما أنه فى مجال المقارنة بغيره من العبادات يتقدمها جميعا، قال تعالى: ﴿.. وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكـــر الله أكـــبر والله يعلـــم مـــا تصنعون﴾ (العنكبوت: ٤٥).

وقال الأستاذ القشيرى: (الذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى بـــل هو العمدة فى هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر).[١]

وقد حث القرآن الكريم عليه، وفى كثير من الآيات بصيغ مختلفة، وتخللت هـــذه الآيات القرآن الكريم، شأن الأمر الهام. يكثر القرآن الكريم من ذكره والحث عليـــه بصور مختلفة، ويبثه المولى فى ثنايا القرآن.

كما تعددت الأحاديث النبوية الكريمة التى تحث على ذكر الله عز وجل، وقـــد وصل عدد الآيات التى تتضمن ذكر الله عز وجل إلى أكثر من ستين آية، وذلـــك بطرق متعددة، نشير إليها فيما يلى:

(١) بعضها فيه الأمر بالذكر صراحة.

(٢) وبعضها فيه الحث على الذكر، بالثناء على الذكر والذاكرين.

(٣) وبعضها يذكر من ثمرات الذكر ما يحض عليه.

(٤) وبعضها يذكر من عقوبات الغفلة عن الذكر ما ينفر منها.

وإليكم هذه الآيات.

---

[١] الرسالة القشيرية ص ١١٠

١- الآيات التى تأمر بالذكر صراحة

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون﴾ (البقرة: ١٥٢).

﴿..فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾ (البقرة : ١٩٨).

﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا..﴾ (البقرة: ٢٠٠).

﴿واذكروا الله فى أيام معدودات..﴾ (البقرة: ٢٠٣).

﴿..فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ (البقرة :٢٣٩).

﴿..واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار﴾ (آل عمران :٤١).

﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم..﴾ (النساء:١٠٣).

﴿..فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله..﴾ (المائدة :٤).

﴿واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ولا تكن من الغافلين﴾ (الأعراف: ٢٠٥).

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ (الأنفال: ٤٥). ﴿.. واذكر ربك إذا نسيت..﴾ (الكهف: ٢٤).﴿إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ﴾ (طه: ١٤).

﴿اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى﴾ (طه:٤٢).

﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف..﴾ (الحج: ٣٦).

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ (الأحزاب: ٤١).

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله

وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (الجمعة: ٩).

﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ (الجمعة: ١٠).

﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾ (المزمل:٨).

﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾ (الإنسان: ٢٥).

٢- الآيات التى تحث على الذكر

قال سبحانه وتعالى ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (الأنفال:٢).

﴿واجعل لى وزيرا من أهلى* هارون أخى* اشدد به أزرى* وأشركه فى أمرى* كى نسبحك كثيرا* ونذكرك كثيرا﴾ (طه: ٢٩- ٣٤).

﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق* ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾ (الحج: ٢٧،٢٨).

﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين* الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ (الحج:٣٤،٣٥).

﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾ (الحج: ٤٠).

﴿فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال* رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله..﴾ (النور: ٣٦،٣٧).

﴿اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ (العنكبوت: ٤٥).

﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر

وذكر الله كثيرا﴾ (الأحزاب: ٢١).

﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهـــم مغفـــرة وأجـــرا عظيمـــا﴾ (الأحزاب: ٣٥).

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونـــوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهـــم وكثـــير منـــهم فاسقون﴾ (الحديد: ١٦).

﴿قد أفلح من تزكى* وذكر اسم ربه فصـــلى* بل تؤثـــرون الحيـــاة الدنيـــا* والآخرة خير وأبقى﴾ (الأعلى: ١٤- ١٧).

٣- الآيات التى تحض على الذكر ببيان ثمراته

قال تعالى:

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعـــد: ٢٨).

﴿والشعراء يتبعهم الغاوون* ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون* وانهم يقولون ما لا يفعلون* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا..﴾ (الشـعراء: ٢٢٤- ٢٢٧).

﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهـــم مغفـــرة وأجـــرا عظيمـــا﴾ (الأحزاب: ٣٥).

﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشـــاء..﴾ (الزمر: ٢٣).

٤- الآيات التى تنفر من الإعراض عن الذكر

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿..وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون النـــاس ولا يذكـــرون الله إلا قليلا﴾ (النساء: ١٤٢).

﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون﴾ (المائدة: ٩١).

﴿..ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ (الكهف: ٢٨).

﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا* الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ (الكهف: ١٠٠،١٠١).

﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى* قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا* قال كذلك آتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (طه: ١٢٤-١٢٦).

﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ (الأنبياء: ٤٢).

﴿إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين* فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون* إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون﴾ (المؤمنون: ١٠٩- ١١١).

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين﴾ (الزمر: ٢٢).

﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ (الزخرف: ٣٦).

﴿فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا) (النجم: ٢٩).

﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ (المجادلة: ١٩).

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ (المنافقون:٩).

﴿.. ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا﴾ (الجن: ١٧).

وبتدبر هذه الآيات المباركات تجدها تشتمل على العناصر الآتية:

١- الأمر بذكر الله عز وجل.

٢- الحث على ذكر الله بالترغيب فيه.

٣- التنفير من الإعراض عن الذكر.

٤- ثمرات ذكر الله:

أ- ذكر الرب للعبد.

ب- الذكر مطردة للشيطان.

جـ- (الذاكرون) الله يباهى بهم ملائكته.

د- الذاكر فى معية الرحمن.

هـ- ذكر الله منجاة من عذابه، ويؤدى إلى الأجر العظيم، كما أنه أيضا من المنجيات من عذاب الدنيا ومخاوفها.

و- الإكثار من ذكر الله أفضل الطرق إلى محبة الله.

ز- الإكثار من ذكر الله يحول بين الشعراء وبين الغواية، ويطيب الذكر.

حـ- الإكثار من ذكر الله يؤدى إلى طمأنينة قلب الذاكر.

ط- الإكثار من ذكر الله أوسع أبواب الشكر.

٥- أنواع الذكر.

٦- أفضل أنواع الذكر.

٧- الذكر بالاسم المفرد.

٨- لا يترك الذكر للغفلة فيه.

٩- من خصائص الذكر عدم توقيته بوقت. وطلبه فى كل حال، ووجدان الإيمان فيه.

١٠- حد الكثرة فى الذكر.

١١- الذكر أفضل من الدعاء.

١٢- الذكر القليل من صفات المنافقين.

١٣- ترك الذكر باللسان مخافة الرياء، رياء.

١٤- صفة مجالس الذكر الصحيح.

١٥- مشروعية العد فى الذكر.

١٦- وسائل عد الذكر، ومشروعيته على السبحة.

١٧- فضل الذكر فى الأسواق ومواطن الغفلة.

١٨- أصل الحركة فى الذكر.

١٩- العاصى إذا ذكر الله ذكره الله بلعنته حتى يسكت.

٢٠- صيغ نبوية للذكر جامعة. (الصيغ الجامعة تقوم مقام كثير الذكر بغيرها).

وإلى القارئ الكريم ما فتح الله عز وجل به، فى هذه العناصر.

١- الأمر بذكر الله عز وجل

تعددت الآيات القرآنية الكريمة التى تأمر بذكر الله عز وجل أمرا صريحا واضحا يقول عز من قائل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ (الأحزاب: ٤١).

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية: (يأمر الله عباده بكثرة ذكرهم لربهم المنعم عليهم بأنواع النعم، وصنوف المنن، لما لهم فى ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب)[١].

ويقول تعالى: ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ (البقرة: ١٥٢). فيأمرنا تبارك وتعالى بالذكر، فى أبلغ صور الأمر بالذكر، فقد ربط تعالى بين الأمر بذكره سبحانه، وبين ذكره تعالى لمن ذكره، وناهيك بذكر العبد للرب، إنه مقام عال تتطلع إليه القلوب البصيرة، إنه جنة الذاكرين، وثمرة رضوان رب العالمين.

قال ثابت البنانى: إنى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل، ففزعوا منه،وقالوا:

---

[١] ابن كثير جـ ٣ ص ٤٩٤

وكيف تعلم ذلك؟ فقال: إذا ذكرته ذكرني، قال تعالى: ﴿فـــاذكرني أذكركـــم﴾، ويأمر تعالى نبيه ورسوله زكريا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، أن يذكره سبحانه وتعالى، فيقول له وقد سأله الولد: ﴿..آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيـــام إلا رمـــزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار﴾.(آل عمران: ٤١).

إن آيته ألا يستطيع النطق مع أنه صحيح سوى، ثم يأمره تعالى بكثـــرة الذكـــر والتسبيح فى هذه الحال. إنه عاجز عن النطـــق، ومع ذلك يؤمر بالإكثار من ذكـــر الله عز وجل، نعم يؤمر بالإكثار من ذكر الله عز وجل أمرا.

ويأمر تعالى رسوله ﷺ، والأمة معه، ممثلة فى شخصه، بالإكثار من ذكره عـــز وجل طرفى النهار لئلا يكونوا من الغافلين، فيقول تعالى: ﴿واذكر ربك فى نفســـك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن مـــــن الغـــافلين﴾ (الأعراف٢٠٥).

ويأمر تعالى من نسى الشىء فى كلامه أن يذكر الله عز وجـــل لأن النســـيان منشأه الشيطان، كما قال الله سبحانه وتعالى فيما حكاه عن فتى موسى: ﴿.. ومـــا أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره..﴾ (الكهف: ٦٣)، وذكر الله تعالى يطرد الشـيطان، فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان، فذكر الله تعالى سبب للذكـــر، قـــال تعـــالى: ﴿واذكر ربك إذا نسيت.﴾ (الكهف:٢٤)، أى إذا نسيت شيئا من الأشياء فـــاذكر الله عز وجل فإن ذكرك لله يذكرك بالشىء الذى نسيته، والصلاة وهى نوع مـــن الذكر، قد اتخذها الإمام أبو حنيفة فى قصة طريفة وسيلة لتذكر الشىء الذى نســـيه أحد السائلين له، لكن من جهة أخرى غير جهـــة ذكر الله عز وجل، تلك الجهـــة هى استدراجه الشيطان ليذكر المصلى ما نسيه.

فقد جاءه رجل يشكو إليه إنه اكتنـــز مبلغا من المال فى شبابه لشيخوخته فلمـا احتاجه نسى مكانه، فقال له الإمام أبو حنيفة: صل ركعتين لا تحدث فيهما نفسك بشىء، فتوضأ الرجل فأحسن الوضوء ثم دخل فى صلاته وبذل جهده فى جمع فكره

فى الصلاة وهنا جاءه إبليس مسرعا فذكره بما نسى، ليفسد عليه صلاته، باشتغاله بالمال، ذلك أن الشيطان من شأنه أن يذكر الإنسان فى صلاته بما نسى حتى يشغله عن الصلاة.

قال ﷺ: (إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول اذكر كذا، اذكر كذا لما يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى).[1]

ويأمر تعالى النبى ﷺ والأمة معه ممثلة فى شخصه ﷺ. بذكر اسم الله، والإكثار من ذكر اسمه تعالى، فيجمع بذلك المسلم بين قراءة القرآن تارة، وبين الإكثار من ذكر اسم الله عز وجل تارة أخرى، فيقول تعالى: ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾ (المزمل: ٨) ويقول أيضا سبحانه وتعالى:﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾ (الإنسان: ٢٥).

ويأمرنا الله تعالى بذكره عند المشعر الحرام، ويكرر الأمر بذكره عند المشعر الحرام ويعلل الأمر بذكره تعالى آنذاك، بأنه شكر لله تعالى على هدايته للمسلمين لمعرفة مناسك الحج، بعد أن ضلوا فى معرفتها وجهلوا دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

يقول الله تعالى: ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾ (البقرة:١٩٨).

وفى حديث جابر بن عبد الله- الطويل- الذى فى صحيح مسلم، يقول جابر ابن عبد الله: (ثم ركب ﷺ القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة، فدعا الله وكبره وهلله ووحده..).

ويلفت النظر فى هذا الحديث أنه بين ألوان الذكر الذى ذكره ﷺ فهو دعاء

---

[1] رواه البخارى . ـ ٥ ص ٧، ٨ للكرمانى كتاب الآذان.

وتكبير وتهليل-أى قول-: لا إله إلا الله[1] وتوحيد أى قول: لا إله إلا الله وحده، ويأمر تعالى بالإكثار من ذكره بعد قضاء المناسك، فيقول تعالى:﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا..﴾ (البقرة : ٢٠٠).

يقول ابن كثير: (وقوله تعالى: ﴿كذكركم آباءكم﴾ اختلفوا فى معناه، فعن عطاء هو كقول الصبى: أبه أمه. يعنى كما يلهج الصبى بذكر أبيه وأمه، فكذلك أنتم فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك، وكذلك قال الضحاك والربيع بن انس وروى ابن جرير من طريق العوفى عن ابن عباس نحوه.. إلى أن يقول: والمقصود منه الحث على كثرة الذكر لله عز وجل)[2].

ويلفت النظر قوله: كقول الصبي: أبه أمه، فالصبى يكرر أحد اللفظين دون أن يسند إليه ما يجعله جملة، فكأنه بهذا يشير إلى الذكر بالاسم المفرد ويأتى لهذا مزيد بحث، فى مبحث (الذكر بالاسم المفرد).

ويأمر عز وجل عباده بذكره سبحانه فى أيام التشريق، وهى الأيام المعدودات، قال مقسم عن ابن عباس: الأيام المعدودات أيام التشريق أربعة أيام يوم النحر وثلاثة بعده)[3]. ويبدو أن يوم عرفة يدخل فيها، وان الذكر بالدرجة الأولى هو الذكر المعروف الذى يكون عقب الصلوات، وذلك لقول ابن كثير: هو الذكر المؤقت خلف الصلوات والمطلق فى سائر الأحوال، وفى وقته أقوال للعلماء أشهرها الذى عليه العمل أنه من صلاة الصبح يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق وهو آخر النفر الآخر)[4].

ويلفت النظر تصريح المصطفى ﷺ بأن الهدف من مناسك الحج ذكر الله عز

---

[1] فى المختار: هلل الرجل تمليلا، قال: لا إله إلا الله.

[2] ابن كثير جـ١ ص ٢٤٣.

[3] ابن كثير جـ١ ص٢٤٥.

[4] المصادر السابق

وجل، فقد روى أبو داود بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (إنما جعل الطواف بالبيت، وبين الصفا والمروة، ورمى الجمار لإقامة ذكر الله)[1].

ويسمى المولى عز وجل الصلاة ذكرا، يقول سبحانه: ﴿فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ (البقرة: ٢٣٩)، يشير بذلك إلى أن الهدف من الصلاة والغرض الأسمى منها إنما هو ذكر الله، وفي الحديث: (ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها) ويشهد لكون المراد بالذكر في هذه الآية الصلاة، قول ابن كثير في تفسيرها: (أي أقيموا صلاتكم كما أمرتم، فأتموا ركوعها وسجودها وقيامها وقعودها وخشوعها وهجودها)[2].

ويقول أيضا ابن كثير في موضع آخر: (ويأمر الله تعالى بكثرة الذكر عقب صلاة الخوف وإن كان مشروعا مرغبا فيه أيضا بعد غيرها، ولكنه ها هنا آكد لما وقع فيها من التخفيف في أركانها، ومن الرخصة في الذهاب فيها والإياب وغير ذلك مما ليس يوجد في غيرها)[3].

فيقول الله تعالى: ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم..﴾ (النساء:١٠٣).

ويفهم من الآية أن الذكر مكمل لصلاة الخوف، والشيء إنما يكمل بجنسه، فتشهد هذه الآية لكون الصلاة الدرجة الأولى إنما هي ذكر الله، فما نقص منها يكمل بعدها بذكر الله.

ويأمر الله تعالى بذكره عند إطلاق حيوان الصيد للصيد، يقول سبحانه: ﴿فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه﴾ (المائدة:٤).

---

[1] أبو داود جـ١ ص٤٣٦.

[2] ابن كثير جـ١ ص٢٩٦، و(هجد) نام ليلا، و(هجد) و(تهجد) سهر وهو من الأضداد ومنه قيل لصلاة الليل (التهجد)- مختار الصحاح ص ٦٩٠.

[3] المرجع السابق جـ١ ص ٥٤٩.

ويأمر الله تعالى المؤمنين بذكره، مع الإكثار من ذكره، دون ارتباط بزمان أو مكان أو عبادة من العبادات، فهو أمر بالإكثار من ذكر الله مطلقا، يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ (الأحزاب:٤١).

(وذكر الله تعالى هو اتصال القلب به والاشتغال بمراقبته، فهو يشمل كل صورة يتذكر فيها العبد ربه، ويتصل به قلبه، سواء جهر بلسانه بهذا الذكر أم لم يجهر، فالمقصود هو الاتصال المحرك والموحى على أية حال، وإن القلب ليظل فارغا أو لاهيا أو حائرا حتى يتصل بالله ويذكره ويأنس به فإذا هو ملئ جاد قار يعرف طريقه، ويعرف منهجه ويعرف من أين وإلى أين ينقل خطاه) [1].

ويأمر الله تعالى المؤمنين بذكره عند لقاء العدو، ذلك أن ذكر الله آنذاك من أهم عوامل النصر فى المعركة، فيقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ (الأنفال: ٤٥).

(إن ذكر الله عند لقاء العدو يؤدى وظائف شتى: إنه الاتصال بالقوة التى لا تغلب، والثقة بالله الذى ينصر أولياءه، وهو فى الوقت ذاته استحضار لحقيقة المعركة وبواعثها وأهدافها، فهى معركة لله.

كما أن ذكر الله آنذاك تأكيد لذكر الله ووجوبه، نعم وجوب ذكر الله، ووجوب الإكثار من ذكره، حيث أمر به فى أحرج الساعات وأشد المواقف) [2].

وكما أمر الله تعالى بالذكر عند الصيد، فقد أمر بالذكر ذكر اسمه عند ذبح البدن فى الحج فقال تعالى: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف..﴾.(الحج: ٣٦).

ويأمر الله تعالى المؤمنين بالسعى إلى ذكره إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة، كما يأمرهم بذكره أيضا بعد انتهاء صلاة الجمعة، والإكثار من ذكره كذلك،

---

[1] فى ظلال القرآن جـ ٥ ص ٢٨٧١.

[2] فى ظلال القرآن جـ٣ ص ١٥٢٨

وذلك فى حال بيعهم وشرائهم حتى لا تشغلهم دنياهم عن ذكر الله.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ (الجمعة:٩، ١٠).

ويقول ﷺ: (من دخل سوقا من الأسواق فقال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كتب له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيتا فى الجنة)[1]. ويأمر الله بالصلاة لنذكره بها، فهى لون من ألوان ذكره عز وجل، قال تعالى: ﴿وأقم الصلاة لذكرى﴾ قال ابن كثير: (معناه صل لتذكرنى)، ويقول الأستاذ سيد قطب فى الظلال، مشيرا إلى سبب كون الصلاة إنما تصلى ليذكر بها الله: (لأن الصلاة أكمل صورة من صور العبادات، وأكمل وسيلة من وسائل الذكر لأنها تتمحض لهذه الغاية، وتتجرد من كل الملابسات الأخرى، وتتهيأ فيها النفس لهذا الغرض وحده وتتجمع للاتصال بالله)[2].

ويأمر الله تعالى بذكره عند ملاقاة الأقران ومواجهة الظلمة، فيقول سبحانه وتعالى لسيدنا موسى وسيدنا هارون: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى﴾ (طه:٤٢).

قال ابن كثير: (عن ابن عباس: لا تبطئا، وعنه: لا تضعفا، يقول ابن كثير: والمراد أنهما لا يفتران فى ذكر الله. بل يذكران الله فى حال مواجهة فرعون ليكون ذكر الله عونا لهما عليه، وقوة لهما وسلطانا كاسرا له، كما جاء فى الحديث الشريف عن عمارة بن زعكرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله عز وجل يقول: إن عبدى كل عبدى يذكرنى وهو ملاق قرنه) يعنى عند القتال.. ومعنى قوله

---

[1] مسند الإمام أحمد جـ ١ ص ٤٧.

[2] جـ ٤ ص ٢٣٣١

وهو ملاق قرنه، إنما يعنى عند القتال، يعنى أن يذكر الله فى تلك الساعة)[1].

ويقول صاحب الظلال: (ولا تنيا فى ذكرى فهو عدتكما وسلاحكما وسندكما الذى تأويان منه إلى ركن شديد)[2].

٢- الحث على ذكر الله بالترغيب فيه

هذا وتعددت الآيات القرآنية التى تحث على ذكر الله بجانب الآيات التى تأمر بذكره يقول تعالى: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (الأحزاب: ٢١)، فمن كان يرجو الله واليوم الآخر، ويذكر الله كثيرا، فهو الذى يتأسى برسول الله ﷺ، ويقتدى به فى أقواله وأفعاله، فالإيمان بلقاء الله فى اليوم الآخر مع الإكثار من ذكره عز وجل يشرح صدر المؤمن للاقتداء برسول الله ﷺ، وييسره عليه، وفى ذلك من الحث على الذكر ما فيه.

ويؤكد تعالى فلاح من ذكر اسم ربه، فيقول: ﴿قد أفلح من تزكى* وذكر اسم ربه فصلى﴾ (الأعلى (١٤، ١٥).

ويذكر تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام، طلبه منه تعالى تأييده بسيدنا هارون، كى يسبحا الله كثيرا ويذكرانه كثيرا، فإن الأمر الجليل الذى هو مقدم عليه يحتاج إلى التسبيح الكثير والذكر الكثير، والاتصال الكثير فموسى عليه السلام يطلب من المولى عز وجل أن يشرح له صدره وييسر له أمره ويحل عقدة من لسانه ويعينه بوزير من أهله، كل أولئك لا ليواجه المهمة مباشرة، ولكن ليتخذ ذلك كله مساعدا له ولأخيه على التسبيح الكثير والذكر والتلقى الكثير من السميع البصير)[3].

يقول تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام: ﴿واجعل لى وزيرا من أهلى*

---

[1] سنن الترمذى جـ ٥ ص٥٧٠.

[2] جـ ٤ ص٢٣٣٦.

[3] فى ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢٣٣٣

هارون أخى* اشدد به أزرى* وأشركه فى أمرى* كى نسبحك كثيرا* ونذكـــرك كثيرا إنك كنت بما بصيرا﴾ (طه: ٢٩-٣٥).

وكما أمر المولى عز وجل بذكره تعالى فى أيام معدودات، فقد حث علـــــى ذكره كذلك فى أيام معلومات، فقال عز من قائل: ﴿وأذن فى الناس بالحج يــأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق* ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اســم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ (الحج: ٢٧، ٢٨).

والأيام المعـــدودات هى أيام التشريق كما مر بيانه، والأيام المعلومـــات هـــى العشر الأوائل من ذى الحجة.

وفى فضل الذكر خاصة فى هذه الأيام، والعبادات الأخرى عامة، يقول ﷺ: (ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيها من هذه الأيام العشر فأكثروا فيــها من التهليل والتكبير والتحميد). رواه الإمام أحمد.

وقد جاء فى البخارى: (كان عمر ﷺ يكبر فى قبته بمنى فيسمعه أهل المســجد فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيرا، وكان عمر يكبر بمـــنى تلــك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفى فسطاطـــه ومجلسه وممشاه تلــك الأيــام جميعا، وكانت ميمونة تكبر يوم النحر، وكن النساء يكبرن خلف أبان بن عثمـــان وعمر بن عبد العزيز ليالى التشريق مع الرجال فى المسجد)[1].

وهكذا يتأكد طلب ذكر الله والإكثار منـــه فى هـــذه الأيـــام المعـــدودات والمعلومات فيمتد الذكر المطلوب من أول ذى الحجة إلى آخر أيام التشريق.

ويلفت النظر ما ذكره البخارى عن ابن عباس قوله[2]:

(واذكروا الله فى أيام معلومات "أيام العشر" والأيام المعدودات أيام التشـــريق وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق فى أيام العشر يكبران ويكبر النـــاس

---

[1] شرح صحيح البخارى للكرمانى جـ ٦ ص٧٥،٧٦

[2] المرجع السابق ص ٧٤.

بتكبيرهما). فقد خرج الصحابيان الجليلان إلى السوق لذكر الله، وتحريك الجماهير لذكر الله، حتى يكون الناس جميعا فى موكب إلهى، يذكر الله عز وجل ويكثر من ذكره فى كل مكان، لا يشغله عن ذكر الله بيع ولا شراء، ولا صناعة ولا زراعة، والذكر هنا شرع شكرا لله عز وجل على ما من به على الناس من بهيمة الأنعام، خير أطعمة الإنسان من لحم وألبان.

وهكذا شأن سائر الأمم شرع الله لهم منسكا- أى ذبح الأنعام قربة لله- كما شرع لهم ذكر اسمه تعالى شكرا له عز وجل على ما رزقهم من بهيمة الأنعام قال تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام..﴾ (الحج: ٣٤).

وذكر تعالى من خصائص ذكره عز وجل أن القلوب المؤمنة تفزع وتخاف عنده، فتؤدى أوامر الله وتجتنب نواهيه، قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم..﴾ (الأنفال:٢) قال سفيان الثورى سمعت السدى يقول فى تفسير هذه الآية: (هو الرجل يريد أن يظلم أو قال: يهم بمعصية، فيقال له: اتق الله فيجل قلبه)[1]. ويقول ﷺ مشيرا إلى ذلك: (إن الشيطان يلتقم قلب ابن آدم كما يلتقم الكلب الجيفة، فإذا غفل عن ذكر الله ولغ الشيطان، وإذا ذكر الله خنس الشيطان)[2].

وبشر الله تعالى المخبتين، وأمر رسوله ﷺ بتبشيرهم، وجعل صفتهم الأولى انهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، قال تعالى: ﴿.. وبشر المخبتين* الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ (الحج: ٣٤، ٣٥).

ومدح الله عز وجل المساجد بأنها يذكر فيها اسم الله كثيرا، وعلل دفعه الناس

---

[1] ابن كثير جـ٢ ص ٢٨٥.

[2] ابن أبى الدنيا. الجامع الصغير جـ ١ص ١٣٨.

بعضهم ببعض بحماية أماكن العبادة بأن تهدم، وهى التى يذكر فيها اسم الله كثيرا، قال تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ (الحج: ٤٠).

قال ابن كثير: (الضمير فى قوله تعالى: ﴿يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ عائد إلى المساجد لأنها أقرب المذكورات، وقال الضحاك: الجميع يذكر فيها اسم الله كثيرا)[١].

وذكر تعالى من أهم أهداف المساجد أن يذكر فيها اسمه، فقال تعالى: ﴿فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه..﴾ (النور:٣٦).

وروى ابن ماجه عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا فى الجنة).

وأثنى تعالى على المؤمنين الذين لا تشغلهم أعمال الدنيا عن ذكر الله، فهم يؤدون عمل دنياهم ولا يشغلهم ذلك عن ذكر الله، قال تعالى فيهم: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ (النور: ٣٧).

ويذكر تعالى من ثمرات الصلاة النهى عن الفحشاء والمنكر، ويذكر بعد ذلك مباشرة أن ذكر الله أكبر، فهو أكبر من كل شئ، والصلاة وإن كانت ذكرا لله إلا أن عكوف القلب واللسان على ذكر الله، أكبر من كل شئ، ذلك أن قلب الذاكر أثناء الذكر لا ينبغى أن يخطر به ولا يملأ إلا بذكر المولى فحسب، فمن هنا كان ذكر الله أكبر من كل شئ، وخاصة ذكرا يستغرق فيه الذاكر، حتى يغيب فيه عن غير المذكور، وهذا مقام عال يعرفه أهلوه فحسب.

قال تعالى: ﴿اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر..﴾ (العنكبوت:٤٥).

---

[١] ابن كثير جـ٣ ص ٢٢٦

ويحض الله تعالى المؤمنين على الذكر أبلغ حض بدعوتهم إلى المسارعة إليه باستعمال مادة الآن المعبرة عن اللحظة الحاضرة، فى قوله تعالى ﴿ألم يأن﴾ يقول تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق..﴾ (الحديد:١٦).

ويعد الله للذاكرين كثيرا والذاكرات مغفرة للذنوب وأجرا عظيما، يقول تعالى: ﴿.. والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ (الأحزاب ٣٥).

ويخبرنا ﷺ عنهم بأنهم أفضل العباد درجة عند الله، روى الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه، أنه قال: قلت يا رسول الله أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال ﷺ: (الذاكرون الله كثيرا والذاكرات) قال: قلت: يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله تعالى؟ قال ﷺ: (لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه).

ومما ورد فى الحديث الصحيح فى الحث على الذكر، طواف الملائكة فى الطرقات يلتمسون أهل الذكر، ومحفتهم لهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا وسؤال الله للملائكة عنهم، وهو أعلم بهم منهم إعظاما لقدرهم وإشادة بهم وإشهادا من الله للملائكة على مغفرته لهم، ومغفرته كذلك لمن جالسهم، إكراما لهم.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ[1]: (إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق، يلتمسون أهل الذكر. فإن وجدوا قوما يذكرون الله.تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم. ما يقول عبادى؟ قالوا: يقولون يسبحونك ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك. قال: فيقول هل رأونى؟ قال فيقولون، لا والله ما رأوك. قال: فيقول

---

[1] اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان- رواه البخارى فى كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل، رواه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل مجالس الذكر.

وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون، لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا. قال: يقول فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة.قال: يقول وهل رأوها؟ قال: يقولون، لا والله يا رب ما رأوها. قال يقول فكيف لهم لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون لو أنهم رأوها، كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون من النار. قال: يقول وهل رأوها؟ قال: يقولون لا والله ما رأوها قال: يقول فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة، قال: فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان، ليس منهم. إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم).

وعن أبي هريرة ﷺ، قال النبي ﷺ[1]: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي. وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي. وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلى بشبر تقربت إليه ذراعا. وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة).

٣- التنفير من الإعراض عن ذكر الله

يذكر الله سبحانه وتعالى، في التنفير من الإعراض عن الذكر الكثير، الكثير من الآيات القرآنية، من ذلك أنه جعل الإقلال من ذكره صفة من صفات المنافقين، قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ (النساء:١٤٢).

وذكر تعالى من أهداف الشيطان حينما يحرض على شرب الخمر ولعب الميسر، بالدرجة الأولى الصد عن ذكر الله، وعن الصلاة خصوصا، كنوع من ذكر الله، فقال عز من قائل: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر

[1] المرجع السابق جـ ٣ ص ٢٢٣ ، رواه البخاري في كتاب التوحيد، ورواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء.

والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة..﴾ (المائدة:٩١).

والشيطان عدو الإنسان، فهو يستهدف أكثر الأشياء ضررا بالإنسان فيحضه عليها، قال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (فاطر:٦).

ويذكر تعالى من صفات الكفار المستهزئين برسل الله، الإعراض عن ذكر الله فجعل إعراضهم عن ذكر الله من قبيح صفاهم برسل الله، قال تعالى: ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون* قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر رهم معرضون﴾ (الأنبياء: ٤١،٤٢).

ويذم تعالى القلوب القاسية التي لا تلين عند ذكره ولا تخشع فيقول تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين﴾ (الزمر:٢٢).

ويذكر تعالى من العقوبات المعجلة للمقل من ذكر الله، مقارنة الشيطان له عقوبة له، فهو يضله، ويصده عن سبيل الله، يقول تعالى:﴿ومن يعش[1] عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين* وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون* حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾ (الزخرف: ٣٦-٣٨).

والشيطان المقارن للمقل عن ذكر الله لا يفارقه حتى يوافى الله عز وجل يوم القيامة.

قال عبد الرازق[2] أخبرنا معمر عن سعيد الحريرى. قال: بلغنا أن الكافر إذا بعث من قبره يوم القيامة شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله تبارك

---

[1] العشا فى العين ضعف بصرها، والمراد به ها هنا عشا البصيرة.

[2] ابن كثير جـ ٤ ص ١٢٨.

وتعالى إلى النار، فذلك حين يقول: ﴿يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾.

ويذكر تعالى أن نسيان ذكره سبحانه ثمرة من ثمرات استحواذ الشيطان على الإنسان وبذلك يصير الإنسان التارك لذكر الله من حزب الشيطان وقد أكد الله تعالى خسارة حزب الشيطان يقول تعالى: ﴿استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ (المجادلة: ١٩).

ويقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكره، وناهيا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ومخبرا لهم بأن من إلتهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة[١].

ويتهدد تعالى من يعرض عن ذكره بأليم العذاب يوم القيامة فى جهنم، فيقول عز من قائل: ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا﴾ (الجن: ١٧). أى عذابا شاقا موجعا مؤلما. عن ابن عباس: (جبل فى جهنم، وعن سعيد بن جبير: بئر منها).

ويأمر تعالى حبيبه المصطفى ﷺ والأمة فى شخصه الكريم (بالجلوس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله سواء أكانوا فقراء أم أغنياء، أقوياء أم ضعفاء)[٢] قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ (الكهف: ٢٨).

وينهانا فى هذه الآية كذلك عن طاعة من شغل عن الله بدنياه، وكانت أعماله

---

[١] ابن كثير جـ ٤ ص ٣٧٣.

[٢] ابن كثير جـ ٣ ص ٨٠.

وأقواله كلها سفه وتفريط وضياع، كما ينهانا عن حب طريقته.

روى الإمام مسلم بسنده عن سعد بن أبى وقاص قال: كنا مع النبى ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبى ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هزيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما، فوقع فى نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه﴾ (الأنعام:٥٢).

ويأمر عز وجل نبيه ﷺ والأمة فى شخصه الكريم بالإعراض عمن أعرض عن ذكر الله، وشغل بدنياه عن أخراه، وقعد به علمه عن طلب رضوان الله، فضل بذلك عن سبيل الله وصراطه المستقيم.

قال تعالى: ﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا و لم يرد إلا الحياة الدنيا* ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ (النجم: ٢٩،٣٠).

وقد ذم سيدنا رسول الله ﷺ، من شغلته دنياه عن أخراه، روى الإمام أحمد بسنده عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له). هذا وفى الدعاء المأثور: (اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا).

وذم تعالى الكافرين بتعاميهم عن ذكر الله وهددهم بجهنم وأليم عذابها فقال تعالى: ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا* الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ (الكهف: ١٠٠، ١٠١).

قال ابن كثير: (أخبر تعالى عما يفعله الكفار يوم القيامة فذكر أنه يعرض عليهم جهنم ويظهرها لهم ليروا ما فيها من العذاب قبل دخولها ليكون ذلك أبلغ فى تعجيل الهم والحزن لهم).

روى مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود قال: قال رسـول الله ﷺ[1]: (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها).

ويتوعد تعالى المعرضين عن ذكره بضنك المعيشة والعمى يوم القيامة يقول تعالى: ﴿ومن اعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى* قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا* قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (طه: ١٢٤-١٢٦).

قال ابن كثير: (فإن له معيشة ضنكا فى الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو فى قلق وشك وحيرة، فلا يزال فى ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة، ويحشر يوم القيامة أعمى البصر والبصيرة)[2].

ويذكر تعالى طرفا مما يبكت به أهل النار فى النار فيذكر لهم أنهم كانوا فى الدنيا يسخرون من المؤمنين حتى أنستهم هذه السخرية ذكر الله، يقول تعالى: ﴿قال اخسئوا فيها ولا تكلمون* إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين* فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون ﴾ (المؤمنون: ١٠٨-١١٠).

هذا وكثير من هذه الآيات التى ورد فيها ذكر الله، أمرا به أو حثا عليه أو ذكرا لثمراته أو تنفيرا من تركه.

أقول: وإن كان كثير من هذه الآيات نصا فى الكافرين وإعراضهم عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فقد قال السادة العلماء: كل آية فيها وعيد للكافرين فهى تنسحب بذيلها على عصاة المسلمين.

---

(1) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢١٨٤، باب فى شدة حر نار جهنم

(2) ابن كثير جـ ٣ ص ١٦٨، ١٦٩.

هذا والتعبير بمادة الذكر، فى ترك العمل بالإسلام فيــه إشــارة واضحــة إلى أن شرائع الإسلام كلها إنما شرعت أصلا، وبالدرجة الأولى لذكر الله عز وجــل. وقد تقدم ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لذكرى﴾ (طه: ١٤). وقوله ﷺ: (إنما جعل الطواف بــالبيت وبــين الصفا والمروة ورمى الجمار لإقامة ذكر الله)[١].

٤ - ثمرات الذكر

من ثمرات الذكر، أمور كثيرة نشير إليها فيما يلى:

أ - ذكر الرب للعبد

قال تعالى ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ (البقرة:١٥٢).

وروى الإمامان البخارى ومسلم بسنديهما عن رسول الله ﷺ عن رب العــزة: قال الله عز وجل: (أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه، ذكرته فى نفسي. وإن ذكرنى ملأ ، ذكرته فى ملأ خير منهم، وإن تقرب إلى بشــبر تقربت له ذراعا. وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتانى يمشــى، أتيتــه هرولة)[٢].

وقال ثابت البنانى: إنى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل، ففزعوا منه، وقــالوا: وكيف تعلم ذلك؟ فقال: إذا ذكرته ذكرنى، قال تعالى: ﴿فاذكرونى أذكركم﴾.

ويقول الإمام القشيرى: (ومن خصائص الذكر أنه جعل فى مقابلته الذكر قــال تعالى: ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ وفى خبر أن جبريل عليه السلام قال لرســول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول: أعطيت أمتك ما لم أعط أمة من الأمم. فقال: ومــا ذاك يــا جبريل؟ فقال: قوله تعالى:﴿ فاذكرونى أذكركم﴾ لم يقل هذا لأحــد غــير هــذه

---

[١] سنن أبى داود جـ ٢ ص ١٧٩ كتاب المناسك (الحج) باب فى الرمل.

[٢] اللؤلؤ والمرجان جـ ٣ ص ٢٢٣ رواه البخارى فى كتاب التوحيد، ورواه مســلم فى كتــاب الذكــر والدعاء .

الأمة)[1].

وذكر الرب للعبد مقام عال، يصل إليه العبد بذكره للرب.

وشتان بين ذكر العبد للرب، وذكر الرب للعبد، إن ذكر العبد للرب هو ذكـر الفانى للباقى، والفقير للغنى. وذكر الرب جل شأنه للعبد إنما يكون بنفحاته وألطافه وهباته من خزائنه التى لا تنفد سبحانه وتعالى.

ويذكر تعالى عبده الذاكر فى ملأ خير من الملأ الذى ذكر العبد فيه ربه.

هذا والذكر النفسى:إنما هو الذكر الذى هو ضد النسيان، مما يؤكد أن المعنى العام للذكر إنما هو الذكر الذى هو ضد النسيان وأنواعه وصيغه كثيرة متعـددة ، كما سيأتى فى مبحث أنواع الذكر.

ب- الذكر مطردة للشيطان

قال تعالى: ﴿وإما ينـزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ (الأعراف: ٢٠٠).

وقال تعالى: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين* وأعوذ بـك رب أن يحضرون﴾ (المؤمنون:٩٧،٩٨)

قال تعالى: ﴿وإما ينـزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هـو السميع العليم﴾ (فصلت: ٣٦).

ويقول ﷺ: (إن الشيطان ملتقم قلب ابن آدم كما يلتقم الكلب الجيفة. فـإذا غفل عن ذكر الله ولغ الشيطان، وإذا ذكر الله خنس الشيطان)[2].

يقول ابن كثير: يأمر تعالى بالاستعاذة به من العدو الشـيطانى لا محالـة، إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانا، ولا يبتغى غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه

---

[1] الرسالة القشيرية ص ١١٢.

[2] ابن أبى الدنيا- الجامع الصعير جـ ١ ص ١٣٨.

آدم)[1].

والاستعاذة بالله نوع من ذكره عز وجل، وصيغة من صيغ ذكره والاستعاذة تكون قبل التلاوة لدفع الموسوس عنها.

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدرى قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال: (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك).

(-ثم يقول- لا إله إلا الله- ثلاثا- ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ومن همزه ونفخه، ونفثه).

وقد فسر الهمز بالخنق والنفخ بالكبر والنفث بالشعر.

وتشرع الاستعاذة بالله. وهي صيغة من صيغ ذكره، بين يدى الكثير من الأقوال والأفعال لطرد الشيطان منها:

روى البخارى بسنده عن عدى بن ثابت قال: قال سليمان بن صرد ﷺ: استب رجلان عند النبي ﷺ، ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مغضبا، قد احمر وجهه فقال النبي ﷺ: (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد. لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول رسول الله ﷺ، قال: إني لست بمجنون[2].

وذكر الله تعالى عند دخول البيت مطردة للشيطان، وذكره تعالى عند الطعام مطردة للشيطان.

عن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا

---

[1] جـ ١ ص ١٣.

[2] اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ ٣ ص ١٩٩ ، رواه البخارى في كتاب الأدب، ورواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب.

دخل فلم يذكر الله تعالى منذ دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء)[1]رواه مسلم.

وواضح من هذا الحديث الصحيح أن الشيطان يترصدنا فى أقوالنا وفى أفعالنا ليفسدها علينا من جهة، وليشاركنا فى بيوتنا وفى طعامنا بل وفى نسائنا من جهة أخرى.

قال ﷺ: (لو أن أحدكم حين يأتى أهله يقول: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر بينهما ولد لم يضره شيطان أبدا)[2].

هذا وأماكن قضاء الحاجة تسكنها الشياطين وذكر الله يحمينا منها، روى الترمذى بسنده عن زيد بن أرقم عن النبى ﷺ قال: (إن هذه الحشوش محتضرة فإذا دخل أحدكم الخلاء فليقل: اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث)[3].

والخبث: جمع خبيث. اسم لذكران الشياطين.

والخبائث: جمع خبيثة. اسم لإناث الشياطين. ومعنى (محتضرة) تسكنها الشياطين.

وقد ثبت فى الصحيحين عن انس ﷺ قال: أن رسول الله ﷺ كان يقول: عند دخول الخلاء: اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث)[4].

ويذكر ﷺ من فوائد الاستعاذة بالله من الخبث والخبائث عند دخول الخلاء: أنها تسترنا من أعين الجن. روى الإمام على عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ستر ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم إذا دخل الكنيف أن يقول: (بسم الله)، رواه الترمذى، وقال: إسناده ليس بالقوى.

---

[1] الأذكار للنووى ص ١٩٦

[2] الإمام أحمد وصححه السيوطى فى الجامع الصغير جـ ٢ ص ٢١٦، رواه الستة

[3] الأذكار ص ٢٧.

[4] الأذكار للنووى ص ٢١.

قال الإمام النووى فى الأذكار تعليقا على تضعيف الترمذى لهـــذا الحديــث: الفضائل يعمل فيها بالضعيف.[1]

جـ- الذاكرون الله تعالى يباهى بهم ملائكته

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: خرج معاوية ﷺ على حلقة فى المسجد فقــال: ما أجلسكم؟

قالوا: جلسنا نذكر الله.

قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟

قالوا: والله! ما أجلسنا إلا ذاك.

قال: أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتى من رســـول الله ﷺ أقل عنه حديثا منى وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقــال: (مـــا أجلسكم؟).

قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا.

قال: (آلله! ما أجلسكم إلا ذاك؟).

قالوا: والله! ما أجلسنا إلا ذاك.

قال: أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم،ولكن أتانى جبريل فأخـــبرنى أن الله عـــز وجل يباهى بكم الملائكة)[2].

د- الذاكر فى معية الرحمن

روى الإمام البخارى بسنده عن أبى هريرة ﷺ قال: قال النبى ﷺ: (يقـــول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه، ذكرتـــه فى نفسى. وإن ذكرنى فى ملأ ، ذكرته فى ملأ خير منهم، وإن تقرب إلى بشبر تقربـــت

---

[1] الأذكار ص ٢٧،٢٨.

[2] رواه مسلم جـ ٤ ص ٢٠٧٥.

له ذراعا. وإن تقرب إلى ذرعا تقربت إليه باعا، وإن أتانى يمشى، أتيته هرولة)[1].

وهى معية خاصة المراد بها معه برحمتى وتوفيقى وهدايتى، فهى غير المعية الـتى فى قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فإن معناها: المعية بالعلم والإحاطة.

وقال ﷺ: (يقول الله عز وجل: أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه).[2]

هـ -ذكر الله منجاة من عذابه ويؤدى إلى الأجر العظيم كما أنه أيضا من المنجيات من عذاب الدنيا ومخاوفها

قال تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهـم مغفـرة وأجـرا عظيما﴾(الأحزاب:٣٥).

قال الشيخ الصاوى فى تفسيره: بأى ذكر كان من تسبيح أو تهليل أو تحميد أو صلاة على النبى ﷺ، والكثرة مختلفة باختلاف الأشخاص، فالكثرة فى حق العامـة أقلها ثلاثمائة، وفى حق المريدين اثنا عشر ألفا، وفى حق العارفين عدم خطور الغـير على قلوبهم، ومنه قول العارف ابن الفارض:

ولو خطرت لى فى سواك إرادة   على خاطرى يوما حكمت بردتى[3]

وبأقل تدبر فى هذه الآية الكريمة نرى فيها من ثمرات الذكر المغفـرة والأجـر العظيم.

ويقول ﷺ [1](إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحد من أحصاهـا دخـل

---

[1] رواه البخارى جـ ٩ ص ١٢٠

[2] أخرجه البيهقى وابن حبان من حديث أبى هريرة، والحاكم من حديث أبى الـدرداء وقـال: صحيـح الإسناد.

[3] الصاوى جـ ٣، ص ٢٧٨.

الجنة) وفى رواية أخرى: (من حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر يحب الوتر)، فذكر من ثمرة الذكر دخول الجنة.

هذا.. وليس المراد من الحديث حصر الأسماء فى التسعة والتسعين، وإنما المراد الإخبار عن دخول الجنة بحفظها، ففى حديث ابن مسعود مرفوعا عند أحمد، وصححه ابن حبان (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أنزلته فى كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى وذهاب همى)[٢].

قال القرطبى: (ويدل على عدم الحصر أن أكثرها صفات، وصفات الله لا تتناهى)[٣].

ويذكر ﷺ أن الذكر أنجى العبادات للعبد من عذاب الله، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: (ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله)[٤].

يقول صاحب سبل السلام[٥] : الحديث من أدلة فضل الذكر، وأنه من أعظم أسباب النجاة من مخاوف عذاب الآخرة.

وهو أيضا من المنجيات من عذاب الدنيا ومخاوفها، ولذا قرن الله الأمر بالثبات لقتال الأعداء وجهادهم بالأمر بذكره قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا﴾ (الأنفال: ٤٥).

---

[١] رواه البخارى فى كتابى الشروط والدعوات، رواه مسلم جـ ٤ص ٢٠٦٢، ٢٠٦٣، اللؤلؤ والمرجان جـ ٣ ٢٢٠.

[٢] الأسماء والصفات للبيهقى ص٧

[٣] صفوة صحيح البخارى جـ ٤ ص ٢٢٦

[٤] أخرجه ابن أبى شيبة والطبرانى بإسناد حسن. سبل السلام جـ ٤ ص ٢٩١.

[٥] جـ ٤ ص ٢٩١، ٢٩٢.

ويشهد تعالى ملائكته على غفرانه ذنوب الذاكرين، بل وغفران ذنوب من جلس معهم، وليس منهم، وإنما جاء لحاجة، فهو لم يذكر الله، ولم ينو ذكر الله، ومع ذلك غفرت له ذنوبه، وما رأينا ذلك ثمرة لعبادة أخرى.

إنه ذكر الله مائدة الكرم الإلهى، يغترف منها الذاكرون من فضل الله، ولا يحرم جلساؤهم.

ولعل فى ذلك إشارة إلى أن غير الذاكرين سيصلح الله حالهم فى الدنيا أيضا حتى يذكروه كذلك ويكثروا من ذكره.

روى البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق، يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم.

قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم- ما يقول عبادى؟

قالوا: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك.

قال: فيقول: هل رأونى؟

قال: فيقولون: لا. والله ما رأوك.

قال: فيقول: وكيف لو رأونى؟

قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا وأكثر تسبيحا.

قالوا: يقول: فما يسألونى؟

قال: يسألونك الجنة.

قال: يقول: وهل رأوها؟

قال: يقولون:لا. والله يا رب ما رأوها.

قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟

قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة.

قال:فمم يتعوذون؟

قال: يقولون: من النار.

قال: يقول: وهل رأوها؟

قال: يقولون:لا. والله ما رأوها.

قال: يقول: فكيف لو رأوها؟

قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة.

قال: فيقول: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم.

قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة.

قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم)[1].

و- الإكثار من ذكر الله أفضل الطرق إلى محبة الله

فلقد أثنى رسول الله ﷺ على ذكر الله، وقدمه على كثير من العبادات، فهو خير الأعمال وأزكاها، وأفضل من الزكاة والصدقة والجهاد.

روى الإمام أحمد فى مسنده بسنده عن رسول الله ﷺ قال: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم)؟ قالوا: بلى.

قال ﷺ: (ذكر الله تعالى)[2].

وإنما كان الذكر أفضل الطرق إلى محبة الله تعالى للعبد، لأنه يؤدى إلى محبة العبد لله، والمولى عز وجل يقول: ﴿يحبهم ويحبونه﴾.

---

(1) البخارى جـ ٨ ص ٨٦،٨٧ طبعة ميرى.

(2) سنن الترمذى جـ ٥ ص ٤٥٩ كتاب الدعاء باب ما جاء فى فضل الذكر.

قال الإمام الغزالى: من أكثر من ذكر شئ، وإن كان تكلفا أحبه.

ويذكر ﷺ أن الذاكرين الله كثيرا قد سبقوا غيرهم فيقول: (سبق المفـــردون). قالوا: وما المفردون يا رسول الله ؟

قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات)[1] .

وروى ابن حبان فى صحيحه وغيره من حديث معاذ بن جبل قال: آخـــر مـــا فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت له: أى الأعمال خير وأقرب إلى الله؟

قال: (أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله).

وروى موسى بن عبيدة عن أبى عبد الله القراط عن معاذ بن جبل قال: بينمـــا نحن مع رسول الله نسير بالقرب من جمدان إذا استنبه فقـــال: (يـــا معـــاذ أيـــن السابقون؟). فقلت: قد مضوا وتخلف أناس فقال: (يا معاذ إن الســـابقين الذيـــن يستهترون بذكر الله)[2]، يقول ابن رجب الحنبلى فى كتابه (جامع العلوم والحكـم): (ومن هذا يتضح وجه ذكر السابقين فى هذا الحديث، فإنه لما سبق الركب وتخلـف بعضهم نبه النبى ﷺ على أن السابقين فى الحقيقة هم الذيـــن يدمنـــون ذكـــر الله ويولعون به، فإن الاستهتار بالشىء هو الولوع به والشغف حتى لا يكـــاد يفـــارق ذكره)[3].

وخرج الإمام أحمد والترمذى من حديث أبى سعيد عن النبى ﷺ أنه ســـئل: أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: (الذاكرون الله كثـــيرا والذاكـــرات) قلت: يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله؟ قال: لو ضرب بســـيفه فى الكفـــار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة)[4].

---

[1] رواه مسلم. جـــ ٤ ص ٢٠٦٢. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

[2] خرجه جعفر الفريابى

[3] جامع العلوم والحكم ص ٤١٥.

[4] الترمذى جـــ ٥ ص ٤٥٨ كتاب الدعاء، باب ما جاء فى فضل الذكر.

وخرج الإمام أحمد من حديث سهل بن معاذ عن النبى ﷺ أن رجلا سأله فقال: أى الجهاد أعظم أجرا يا رسول الله؟

قال: (أكثرهم لله ذكرا).

ثم قال: أى الصائمين أعظم؟ قال: أكثرهم لله ذكرا

ثم ذكر لنا الصلاة والزكاة والحج والصدقة.

كلا ورسول الله ﷺ يقول:

(أكثرهم لله ذكرا).

فقال أبو بكر: ذهب الذاكرون بكل خير.

فقال رسول الله ﷺ: (أجل).

وقال معاذ: لأن أذكر الله من بكرة إلى الليل أحب إلى من احمل على جياد الخيل فى سبيل الله من بكرة إلى الليل[١].

وقال الحسن: أحب عباد الله إلى الله أكثرهم له ذكرا وأتقاهم قلبا.

وقال ابن مسعود: قال موسى عليه السلام: رب أى الأعمال أحب إليك؟

قال: أكثرهم لى ذكرا [٢]

ويقول ﷺ مشيدا بالذكر والذاكرين:

(مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت)[٣].

وفى هذا ما فيه من الإشادة بذكر الله عز وجل، فشتان ما بين الحى والميت.

وقال إبراهيم الجنيد: كان يقال من علامة المحب لله دوام الذكر بالقلب واللسان

---

[١] جامع العلوم والحكم ص ٤١٦.

[٢] جامع العلوم والحكم ص ٤١٧.

[٣] رواه البخارى فى كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل وفى مسلم: (مثل البيت الذى لا يذكر الله فيه، والبيت الذى لا يذكر فيه، مثل الحى والميت) جـ ١ ص ٥٣٩ كتاب صلاة المسافرين، اللولو والمرجان جـ ١ص ١٤٩.

وقلما ولع المرء بذكر الله إلا أفاد منه حب الله، أى أحب الله، وبالتالى يحبه الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾. وكان بعض السلف يقول فى مناجاته، إذا سئم البطالون من بطالتهم فلن يسأم محبك من مناجاتك وذكرك. وقال أبو جعفر المحولى: ولى الله المحب لله لا يخلو قلبه من ذكر ربه ولا يسأم من خدمته.

ومن هنا (كان ﷺ يذكر الله على كل أحيانه) كما جاء فى الصحيح. والمعنى فى حال قيامه ومشيه وقعوده واضطجاعه، وسواء كان على طهارة أو حدث.

والمحبون لله يستوحشون من كل شاغل يشغل عن الذكر.

فلا شئ أحب إليهم من الخلوة بالحبيب سبحانه وتعالى.

فإذا قوى حال المحب ومعرفته لم يشغله عن الذكر بالقلب واللسان شاغل، فهو بين الخلق بجسمه، وقلبه معلق بالمحل الأعلى.

كما قال الإمام على فى وصفهم: صحبوا الدنيا بأجساد أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، وقال غيره مؤكدا نفس المعنى. وهو أنه إذا قوى حال المحب ومعرفته لم يشغله عن الذكر بالقلب واللسان شاغل قال ذلك الغير:

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى   وأبحت جسمى من أراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانس   وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى[1]

ز- الإكثار من ذكر الله

يحول بين الشعراء وبين الغواية، ويطيب الذكر

الإكثار من ذكر الله يحول بين الشعراء وبين الغواية، ويطيب الذكر وذلك إذا انضم إليه الإيمان وعمل الصالحات.

يقول تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون* ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا﴾

---

[1] انظر ص ٤١٧ وما بعدها من جامع العلوم والحكم لابن رجب.

(الشعراء:٢٢٤-٢٢٧).

والآيات واضحة الدلالة على أن ذكر الله يحول بين الشعراء وبين الغواية.

روى ابن إسحاق بسنده عن أبي الحسن سالم البراد بن عبد الله مولى تميم الدارى قال: لما نزلت ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾جاء حسان بن ثابت وعبد الله ابن رواحة وكعب بن مالك، إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون، ويقولون: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء.

فتلا النبى ﷺ: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات..﴾ وقال: أنتم ﴿وذكروا الله كثيرا﴾. وقال: أنتم. ﴿وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾ قال: أنتم.رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من رواية ابن إسحاق[1] ولقد اعترض ابن كثير على هذه الرواية.

فقال هذه السورة مكية، فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الأنصار؟

ثم قال ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم فالإكثار من الذكر يطيب الشعر، ويرفع المذمة عن قائله.

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لحسان بن ثابت: (أهجهم). أو قال(هاجهم. وجبريل معك).

وروى الإمام أحمد عن كعب بن مالك أن قال للنبى ﷺ: إن الله عز وجل قد أنزل فى الشعراء ما أنزل. فقال رسول الله ﷺ: (إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذى نفسى بيده لكأن ما ترموهم به نضح النبل)[2].

والإكثار من ذكر الله يطيب الشعر.

وليس من الضرورة أن يكون دفاعا ولا دفعا عن الإسلام ورسوله ﷺ مباشرة، ولا أن يكون دعوة مباشرة للإسلام، ولا تمجيدا له، أو لأيام الإسلام ورجاله، ليس

---

[1] ابن كثير حـ ص ٣٥٤.

[2] المصدر السابق حـ ٣ ص ٣٥٥.

من الضرورى أن يكون فى هذه الموضوعات ليكون شعرا إسلاميا.

وإن نظرة إلى سريان الليل وتنفس الصبح ممزوجة بشعور المسلم الذى يربط هذه المشاهد بالله فى حسه، لهى الشعر الإسلامى فى صميمه.

وإن لحظة إشراق واتصال بالله أو بهذا الوجود الذى أبدعه الله لكفيلة أن تنشئ شعرا يرضاه الإسلام.

ومفرق الطرق أن للإسلام تصورا خاصا للحياة كلها، وللعلاقات والروابط فيها أينما شعر نشأ من هذا التصور فهو الشعر الذى يرضاه الإسلام، والإكثار من ذكر الله هو الذى يؤدى إلى هذا التصور الصحيح.

ح- من ثمرات الذكر

اطمئنان قلب الذاكر

يقول تعالى ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد: ٢٨). والطمأنينة بذكر الله هى ثقة القلب بالله، والاشتغال به عمن سواه.

ويجمع بين هذه الآية التى تفيد أن ذكر الله تطمئن به القلوب وآية الأنفال التى تفيد أن ذكر الله يحصل به الوجل والخوف من الله بأن الطمأنينة هنا معناها السكون إلى الله والوثوق به، فينشأ عن ذلك عدم خوف غيره، وعدم الرجاء فى غيره، فلا ينافى حصول الخوف من الله والوجل منه. وهذا معنى آية الأنفال.

وحينئذ صار الغير عندها هباء منثورا، ليس معدا لدفع ضر، ولا لجلب نفع، هذا ويتضمن معنى آيتى الرعد هذه والأنفال معا قوله تعالى: ﴿.. الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله..﴾ (الزمر:٢٣).

فالمؤمن الكامل، الذاكر الله كثيرا، هو المطمئن بالله، الواثق به، الخائف من هيبته وجلاله، فلا يشاهد غيره، لا فى جلب نفع، ولا فى دفع ضر، لأن الله هو المالك المتصرف فى الأمور خيرها وشرها.

فإذا شاهد المؤمن وحدانية الله فى الوجود أعرض عما سواه، واكتفى بـه فـلا يعرج على غيره أصلا[1].

وقد قال قتادة فى تفسير هذه الآية ما يؤكد ذلك، قال: (هـذا نعـت أوليـاء الرحمن، ونعتهم الله عز وجل بأن تقشعر منهم جلودهم وتبكى أعينهم، وتطمئـن قلوبهم إلى ذكر الله تعالى بعد ذلك)[2].

ويفسر الأستاذ سيد قطب طمأنينة القلـوب بذكـر الله فيقـول:.. تطمئـن بإحساسها بالصلة بالله، والأنس بجواره، والأمن فى جانبه وفى حماه تطمئن من قلـق الوحدة وحيرة الطريق بإدراك الحكمة فى الخلق والبدء والمصير وتطمئن بالشـعور بالحماية من كل اعتداء، ومن كل ضر ومن كل شر إلا بما يشـاء مـع الرضـا بالابتلاء، والصبر على البلاء ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ ذلك الاطمئنان بذكـر الله فى قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهـم، فاتصلت بالله، يعرفونها ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخريـن الذيـن لم يعرفوها، لأنها لا تنتقل بالكلمات، فإنما تسرى فى القلب فيستروحها، ويهش لهـا، ويندى بها، ويستريح إليها، ويستشعر الطمأنينة والسلام، ويحس إنه فى هذا الوجـود ليس مفردا بلا أنيس، فكل ما حوله صديق، إذ كل ما حوله من صنع الله الذى هـو فى حماه.

وليس أشقى فى هذه الحياة ممن يحرمون طمأنينة الأنس بالله، ليس أشقى ممـن ينطلق فى هذه الأرض مبتوت الصلة بما حوله فى الكون لأنه انفصم مـن العـروة الوثقى التى تربطه بما حوله فى الله الخالق الكون.

ط- الذكر أوسع أبواب الشكر

قال تعالى: ﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كـل

---

[1] تفسير الصاوى جـ ٤ ص ٢٧٣.

[2] ابن كثير جـ ٥ ص ٥١.

فج عميق* ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾ (الحج: ٢٧،٢٨).

كما قال تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام..﴾ (الحج٣٤).

وواضح من الآيتين أن ذكر الله فى الأيام المعلومات إنما شرع لشكره سبحانه وتعالى على ما رزقنا من بهيمة الأنعام ولو كان شئ أبلغ فى شكره من ذكره لذكره تبارك وتعالى.

وقد روى ابن كثير بسنده عن زيد بن أسلم أن موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قال: (يا رب كيف أشكرك؟) قال له ربه: (تذكرنى ولا تنسانى فإذا ذكرتنى فقد شكرتنى وإذا نسيتنى فقد كفرتنى). [1]

٥ـ أنواع الذكر

أنواع الذكر كثيرة متعددة، فقد تبين لنا مما تقدم من الآيات الكريمة أن الذكر يشمل جميع أنواع الطاعات، فقد سمى الله تعالى القرآن ذكرا، فقال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وسمى الصلاة ذكرا فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾..

ولذا قال الإمام النووى: (اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة فى التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى، كما قاله سعيد بن جبير ﷺ وغيره من العلماء)[2].

وقال الشيخ زكريا الأنصارى فى شرح الرسالة القشيرية معللا شمول الذكر لكل طاعة، لأن جميع الطاعات تنقل العبد من الغفلة إلى ذكر الله.

وأكد ذلك الحافظ ابن حجر فى شرح المشكاة، فقال: مجالس الذكر هي مجالس

---

[1] فى ظلال القرآن الكريم جـ ٤ ص٢٠٦.

[2] الأذكار للنووى ص ٩.

سائر الطاعات ومن قال: هى مجالس الحلال والحرام فقد أراد التنصيص على أخص أنواع الذكر.

وبتفسير ابن حجر لكلام من خصص مجالس الذكر بمجالس الحلال والحرام يفسر كلام كل من خصص مجالس الذكر بطاعة دون سواها، فيفهم من التخصيص أن القائل به يرى أن هذه الطاعة أفضل من غيرها ولا يفهم منه أن سائر الطاعات باستثناء ما ذكره ليست من الذكر، وبهذا يجمع بين كلام من قال: مجالس الذكر هى مجالس الحلال والحرام، أى دروس الفقه من عبادات ومعاملات.

هذا ومن العلماء الذين خصوا الذكر بطاعة دون سواها على الجمع المتقدم القرطبى فى المفهم فقد قال: (مجالس الذكر هى مجالس العلم والتذكير، وهى المجالس التى يذكر فيها كلام الله وسنة رسوله ﷺ، وأخبار السلف الصالح، وكلام الأئمة والزهاد)[1].

هذا والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، والأفضل ما كان بالقلب واللسان جميعا، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل[2].

٦ـ أفضل أنواع الذكر

فى الذروة من ذكر الله قراءة القرآن الكريم.

ولهذا ضاعف الله الثواب لصاحبه قال ﷺ: (من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿ألم﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف)[3].

وعن عقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن فى الصفة فقال: (أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان، أو إلى العقيق، فيأتى منه بناقتين

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

[3] رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح غريب

كوماوين[1] فى غير إثم ولا قطيعة رحم؟) فقلنا: يا رسول الله كلنا نحب ذلك. قال: (أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم، أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث، وأربع، خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل)[2].

والأحاديث النبوية الواردة فى فضل ذكر الله عز وجل بتلاوة كتابه كثيرة، ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتاب الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٢ وما بعدها، وأختم حديثى هنا بحديث منها قدسى وارد فى فضل الاشتغال بذكر الله بتلاوة القرآن، عن أبى سعيد الخدرى ﷺ: قال رسول الله ﷺ: (يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما اعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)[3].

ولقد أمر الله عز وجل حبيبه المصطفى ﷺ بقيام الليل بالقرآن بحيث لا ينقص قيامه عن ثلث الليل، ولا يزيد على الثلثين.

قال تعالى: ﴿يا أيها المزمل* قم الليل إلا قليلا* نصفه أو انقص منه قليلا* أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾ (المزمل:١-٤).

فقامه ﷺ، وقام الصحابة بقيامه، يتلون القرآن، فكان الذى يمر بطرقات المدينة ليلا يسمع دويا كدوى النحل.

وفى الذروة من ذكر الله أيضا الذكر بـ (لا إله إلا الله) لقوله ﷺ: (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله)[4]. ولقوله ﷺ: (أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله) وقول: (لا إله إلا الله) جزء آية هى قوله تعالى: ﴿فاعلم إنه لا إله إلا الله..﴾ (محمد:١٩).

---

[1] سمينتان

[2] رواه مسلم وأبو داود، الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥،٤

[3] رواه الترمذى وقال: حديث غريب

[4] الترمذى جـ ٥ ص ٤٦٢ كتاب الدعاء.

فيلاحظ الذاكر به ذلك ليحصل على فضيلة الذكر وقراءة القرآن معا.

هذا وفى ذروة الذروة من الذكر: ذكر الله بالاسم المفرد، فالذاكر باسم منها إنما يذكر الله باسمه امتثالا لأمره، حيث طلب تعالى من عباده أن يذكروه باسمه فى أكثر من آية، قال تعالى: ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾ (المزمل:٨).

٧- الذكر بالاسم المفرد

لقد أمرنا الله تعالى بالذكر بالاسم المفرد مرات فى القرآن الكريم.

قال تعالى ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾ (المزمل:٨).

وقال تعالى ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾ (الإنسان: ٢٥).

والذكر بالاسم المفرد ليس بدعة فى العبادات فلقد قال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله، الله)[١].

كما قال ﷺ: (لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله، الله)[٢].

ومر ﷺ على سيدنا بلال. وهو تحت العذاب وبلال يقول: أحد أحد[٣]، ولم ينكر ﷺ، فهذا إقرار منه ﷺ للذكر بالاسم المفرد.

ويؤكد ابن رجب الحنبلى فى كتابه (جامع العلوم والحكم) ما فهمته من جواز الذكر بالاسم المفرد فيقول: (كلما قويت المعرفة صار الذكر يجرى على لسان الذاكر من غير كلفة حتى كان بعضهم يجرى على لسانه فى منامه الله الله)[٤].

فهو يصرح بالذكر بالاسم المفرد وانه مقام كبار العارفين بالله عز وجل ألا تراه يقول: (كلما قويت المعرفة).

ولا يغيب عنا ما ذكرته فى مبحث (الأمر بذكر الله) تفسيرا لقوله تعالى: ﴿فإذا

---

[١] رواه مسلم جـ١ص١٣١ فى كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان آخر الزمان

[٢] رواه مسلم جـ١ص١٣١ فى كتاب الإيمان.

[٣] ابن رجب الحنبلى ص ٤١٨

[٤] المصدر السابق.

قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾.

فقد قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: ﴿كذكركم آباءكم﴾ اختلفوا فى معناه:

فعن عطاء: هو كقول الصبى: (أبه أمه يعنى كما يلهج الصبى بذكر أبيه وأمه، فكذلك أنتم فالهجوا بذكر الله بعد قضاء مناسك الحج).

ويقول ابن كثير أيضا: وكذلك قال الضحاك والربيع بن أنس وروى ابن جرير عن طريق العوفى مثله. عن ابن عباس[1].

ويلفت النظر قوله: كقول الصبى: أبه أمه فالصبى يكرر أحد اللفظين دون أن يسند إليه ما يجعله جملة.

فكأنه بهذا يشير إلى الذكر بالاسم المفرد.

هذا ودعوى أن الذكر بالاسم المفرد بدعة دعوى مرفوضة.

فالنصوص السابقة تشهد للأمر بالذكر بالاسم المفرد.

ودعوة أن الذكر بالاسم المفرد خال من الفائدة دعوى باطلة ذلك أن الذكر بالاسم المفرد يؤدى إلى خطور المسمى بالذهن.

والذكر ضد النسيان.

فمقصود الذاكر خطور المسمى بالذهن، أى فى بؤرة الشعور واستدامة ذلك بالإكثار من الذكر، وذلك يحصل بالذكر بالاسم المفرد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه الرد على المنطقيين: (إن العلم يقوم مقام التعريف فى خطور المسمى بالذهن) فإذا نطقت مثلا بلفظ (شجرة) خطر بذهنك مسمى الشجرة، وعليه فالذكر بالاسم المفرد ليس من قبيل التكلم بما لا يفيد حتى يصير من باب اللغو، لأنه يؤدى إلى خطور المولى عز وجل بالذهن.

هذا مع أن الذاكر بالاسم المفرد، ينطق مفردا، ويضمر جملة.

فالناطق بلفظ (الله) يخطر بذهنه جملة تقديرها (علم على الذات العلية).

---

[1] ابن كثير جـ١ ص ٢٤٣.

والناطق بلفظ (حى) تخطر بذهنه جملة تقديرها (دائم الحياة).

وهذه الجمل أخبار للمفرد الذى نطق به.

والعرب تجيز حذف ما يعلم من أركان الجملة.

قال ابن مالك:

وحذف ما يعلم جائز كما تقول: زيد بعد من عندكما

وفى جواب كيف زيد قل دنف فزيد استغنى عنه إذا عرف

وعلى هذا فالذاكر بلفظ (الله) قد حذف ركن الجملة الذى هو الخبر للعلم به، والتقدير: الله علم على الذات العلية.

والذاكر بلفظ (حى) قد حذف الخبر أيضا، والتقدير: هو دائم الحياة وهكذا.

سيما وقد ثبت فى القرآن والسنة الصحيحة وأقوال العلماء كابن رجب الحنبلى ما يفيد جواز الذكر بالاسم المفرد كما مر. والله أعلم.

٨ ـ لا يترك الذكر للغفلة فيه

(سئل أبو عثمان فقيل له: نذكر الله ولا نجد فى قلوبنا حلاوة. فقال: احمدوا الله تعالى على أن زين جارحة من جوارحكم بطاعته)[١].

وقال ابن عطاء فى الحكم: (لا تترك الذكر لعدم حضور قلبك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره. فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور، وما ذلك على الله بعزيز)[٢].

وعلل ابن عجيبة طلب الذكر ولو مع الغفلة، (بأن الغفلة عن وجود ذكره أشد

---

(١) القرطبى جـ ١ ص ٥٥٣.

(٢) شرح الحكم لابن عجيبة ص ٧٩.

من الغفلة في وجود ذكره، لأن الغفلة عن ذكره إعراض بالكلية عنه، وفي وجود ذكره إقبال عليه بوجه ما، وفي شغل اللسان بذكر الله تزيين جارحة بطاعة الله، وفي ترك الذكر باللسان للغفلة فيه يعرض اللسان للاشتغال بالمعصية.

قيل لبعضهم: ما لنا نذكر الله باللسان والقلب غافل؟

فقال: اشكر الله على ما وفق من ذكر اللسان، ولو أشغله بالغيبة ما كنت تفعل فيلزم الإنسان ذكر اللسان حتى يفتح الله بذكر الجنان، فعسى أن ينقلك الحق تعالى من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، أى انتباه لمعانى الذكر عند الاشتغال به، ومن ذكر مع يقظة إلى ذكر مع وجود حضور المذكور وارتسامه فى الخيال حتى يطمئن القلب بذكر الله ويكون حاضرا بقلبه مع دوام ذكره. وهذا هو ذكر الخواص والأول ذكر العوام.

فإذا دمت على ذكر الحضور رفعك إلى ذكر مع الغيبة عما سوى المذكور لما يغمر قلبك من النور، وربما يعظم النور فتغرق فيه حتى تغيب عما سوى المذكور)[1].

وهكذا يؤدى الذكر مع الغفلة فيه إلى هذه المرتبة العالية (الغيبة عما سوى المذكور).

ويصور شيخ الإسلام الشرقاوى هذا المقام، مقام الغيبة عما سوى المذكور، وثمرته فيقول: (بأن يفنى الذاكر حتى عن الذكر، فيصير يخرج منه الذكر من غير قصد وحينئذ يكون الحق لسانه الذى ينطق به، فإن بطش هذا الذاكر كان يده التى يبطش بها، وإن سمع كان سمعه الذى يسمع به، وهذه المعالم والمراقى لا يعرف حقيقتها إلا السالكون وجدانا والعلماء إيمانا وتصديقا)[2].

---

[1] المصدر السابق ص ٨٠

[2] شرح الحكم لابن عباد ص ٤١.

٩- من خصائص الذكر عدم توقيته بوقت وطلبه فى كل حال، ووجدان حلاوة الإيمان فيه

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى: ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أصحابها فى حال العذر، غير الذكر فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهى إليه. و لم يعذر أحدا فى تركه، إلا مغلوبا على تركه.

قال تعالى: ﴿اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾. بالليل والنهار فى البر والبحر وفى السفر والحضر، وفى الغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال).

قال ابن كثير: (فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته)[١].

وروى الإمام أحمد بسنده. عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أنه قال: عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: (ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه، و لم يصلوا على نبيهم، إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم)[٢].

وواضح من هذا الحديث أنه يحث على طلب الذكر فى كل مجلس، وليس ذلك إلا ذكر الله فى جميع الأمكنة التى يحل فيها الإنسان.

ويروى مسلم فى صحيحه بسنده عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها إنها قالت:

(كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه)[٣].

وهذا يدل على استغراق الذكر لجميع أوقاته ﷺ.

قال ابن رجب: (المعنى: فى حال قيامه وقعوده ومشيه، وسواء أكان على طهارة

---

[١] ابن كثير جـ ٣ ٤٩٥.

[٢] الترمذى جـ ٥ ص ٤٦٢ كتاب الدعاء- باب فى القوم يجلسون ولا يذكرون الله.

[٣] رواه أيضا الترمذى جـ ٥ ص ٤٦١ كتاب الدعاء- باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة.

أم لا)[1].

هذا وللذكر حلاوة يجدها الذاكر إذا كمل له حضور قلبه فى الذكر.

قال الحسن: (تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء: فى الصلاة والذكر وتلاوة القرآن. فإن وجدتم وإلا فاعملوا أن الباب مغلق)[2].

وقال الإمام القشيرى: (من خصائص الذكر إنه غير مؤقت، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله فيه، إما فرضا وإما ندبا. والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز فى بعض الاوقات. والذكر بالقلب مستدام فى جميع الحالات قال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾[3].

١٠ـ حد الكثرة فى الذكر

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ (الأحزاب ٤١).

وقال تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ (الأحزاب: ٣٥).

وقال تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون*ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون* وأنهم يقولون ما لا يفعلون* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا﴾ (الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧).

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا﴾ (الأنفال: ٤٥).

وهكذا نرى فى هذه الآيات طلب الإكثار من ذكر الله.

فما هو حد هذه الكثرة؟.

والجواب إننا نرى فى الصحيح من سنة رسول الله ﷺ ما يشير إلى حد الكثرة فى الذكر.

---

[1] ابن رجب الحنبلى ص ٤١٧.

[2] الرسالة القشيرية ص ١١٢.

[3] الرسالة القشيرية ص ١١٢.

روى مسلم فى صحيحه . بسنده عن أمنا السيدة عائشة رضى الله عنـــها أنهـــا قالت:

(كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه)[1].

ومنه نرى استغراق الذكر لجميع أوقاته ﷺ.

وقد يقول قائل: إن ذلك من خصائصه ﷺ.

ولكنا نقرأ فى سنته ﷺ ما يؤكد أن استغراق الذكر لجميع الأوقات مطلوب من أمته ﷺ أيضا.

روى الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى أنه قال:

قال رسول الله ﷺ: (أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون).

وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رســـــول الله ﷺ: (اذكروا الله حتى يقول المنافقون إنكم تراءون).

وواضح من الحديثين الشريفين أنه لا يقال عن شخص يذكر الله (إنه مجنون) أو يقال عنهم (إنهم يراءون) إلا إذا اكثروا من ذكر الله حتى استغرق أوقاتهم.

روى ابن رجب الحنبلى فى كتابه. (جامع العلوم والحكم): (كان أبو مســــلم الخولانى كثير الذكر، فرآه بعض الناس فأنكر حاله. فقـــال لأصحابـــه: أمجنـــون صاحبكم؟

فسمعه أبو مسلم فقال: لا يا أخى، ولكن هذا دواء الجنون)[2].

وهكذا تصدق نبوءة رسول الله ﷺ فى شخص أبى مسلم الخولانى فإنه لما أكـــثر من ذكر الله اتهم بالجنون.

وقال مجاهد مبينا القدر الذى يكون به العبد من الذاكرين الله كثيرا

(لا يكون العبد من الذاكرين الله كثـــيرا حـــتى يذكـــر الله قائمـــا وقـــاعدا

---

[1] الترمذى جـ ٥ ص ٤٦٣ كتاب الدعاء.

[2] ص ٤١٩

ومضطجعا)[1].

ومنه نرى استغراق الذكر لجميع الأوقات حيث استغرق جميع حالات الذاكر، بالقيام والقعود والاضطجاع. وأما النائم فلا تكليف عليه.

وقد فهم مجاهد هذا من القرآن.

فلقد أثنى القرآن على من هذه صفتهم، فقال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ (آل عمران:١٩١).

وفى رواية عن مجاهد: (الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا)[2] .

ولابن الصلاح رأى فى تحديد الذكر الكثير، فقد سئل عن القدر الذى يصير به الذاكر من الذاكرين الله كثيرا، فقال: (إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحا ومساء، فى الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهارا، وهى مبينة فى كتب عمل اليوم والليلة كان من الذاكرين الله كثيرا).

وسئل عمنا السيد عبد الرءوف الحلوانى، خليفة سيدنا الشيخ أبو خليل شيخ الطريقة الصوفية الخليلية. عن القدر الذى يصير به الذاكر من الذاكرين الله كثيرا؟

فقال: ألا يقل ذكره فى الليلة بـ (لا إله إلا الله) عن عشرة آلاف وبالأسماء المفردة: (الله) (حى) إلى آخر الأسماء المفردة عن خمسة وعشرين ألفا.

وهذا القدر من الذكر يستغرق ساعتين تقريبا.

وفى النصوص المتقدمة جميعها: نرى أن حد الكثرة فى الذكر: إما استغراق جميع الأوقات، وإما استغراق ساعتين فقط.

غير إنه جاء فى حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أن من أيقظ أهله ليلا، فصليا ركعتين جماعة كتبا فى الذاكرين الله كثيرا والذاكرات.

قال ﷺ: (إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا، أو صلى ركعتين جميعا كتبا فى

---

[1] ابن كثير جـ ٤ ص ٣٦٧.

[2] شرح الحكم لابن عباد ص ٤٢.

الذاكرين الله كثيرا والذاكرات)[1] .

وهكذا نجد أنفسنا أمام نصوص مختلفة فى تحديد حد الكثرة فى الذكر والتوفيق بينها.

إن كلا صحيح، وبعضه أفضل من بعض.

غير أنه واضح أن العكوف على ذكر الله بحيث يستغرق جميع الأوقات هو الحد الأعلى، والنموذج الأمثل للمسلم الكامل.

والمواظبة على الأذكار المأثورة المثبتة صباحا ومساء، فى الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهارا درجة أقل من سابقتها.

والذكر بـ (لا إله إلا الله)، أو باسم من أسمائه عز وجل مدة ساعتين يمثل درجة تقارب سابقتها.

أما إيقاظ الرجل أهله فى جوف الليل وصلاتهما ركعتين سنة التهجد فهو يمثل نوعا من الذكر، فيه مغالبة لذة المنام سحرا، ومعاناة إيقاظ أهله لتصلى معه، والدوام على ذلك، ومن هنا عد فعلهما هذا مؤهلا لهما ليكتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات.

ومن هنا يتضح أن الذكر الكثير له درجات متعددة.

وواضح أن الذى يقوم الليل كله ذاكرا الله باسم من أسمائه أكثر ذكرا لله من أى عبادة أخرى.

ذلك أن ذكره لله كامل ومتصل، فهو ذكر الله فحسب، لا يتخلله دعاء أو ثناء أو اشتغال بعلم.

١١- الذكر أفضل من الدعاء

قال ﷺ: قال الله تعالى: (من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى

---

[1] رواه أبو داود وابن ماجة والنسائى فى سننهم

السائلين)[1].

وما ذلك فيما أفهم إلا لاشتغال الذاكر بالذكر الذى هو أفضل من الدعاء ولذا أعطى أفضل ما يعطى السائلون.

عن أبى سعيد الخدرى- ﷺ-قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الرب- عز وجل- من شغله القرآن، وذكرى عن مسألتى، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)[2].

١٢- الذكر القليل من صفات المنافقين والمولى يحذر منه

قال تعالى فى وصف المنافقين: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ (النساء: ١٤٢).

فجعل عز وجل الإقلال من الذكر من علامات النفاق.

وقد ذم تعالى الإقلال من الذكر، وجعل عقوبته تخصيص شيطان لمقارنته وبئس القرين الشيطان، إنه عدو مضل مبين.

قال تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ (الزخرف: ٣٦).

وقد حذر تعالى رسوليه موسى وهارون، عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام من التقصير فى الذكر بالإقلال منه.

قال تعالى: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى﴾ (طه: ٤٢).

أى لا تقصرا فيه، بالإقلال منه.

---

[1] أخرجه البخارى فى التاريخ. والبزار فى المسند. والبيهقى فى الشعب. من حديث عمر بن الخطاب. قال الحافظ العراقى. وفيه صفوان بن أبى الصهباء ذكره ابن حبان فى الضعفاء. وفى الثقات أيضا. جـ ١ ص ٢٩٥ إحياء.

[2] الأحاديث القدسية جـ ٢ ص ١٣٢ - أخرجه الترمذى جـ ٢ ص ١٥٢ قبل أبواب تفسير القرآن.

قال النسفي: أي اتخذا ذكرى جناحا تطيران به[1].

والطائر إنما يطير، ما بسط جناحيه، وقبضهما.

فحرك أخي المسلم لسانك بذكر الله، واجمع قلبك مع لسانك، وأكثر من ذكره عز وجل، حتى يفارقك شيطان المقصرين في الذكر.

١٣- ترك الذكر باللسان مخافة الرياء رياء

قال الإمام النووي:

(لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفا من أن يظن به الرياء، بل يذكر بهما جميعا، ويقصد بذكره وجه الله).

فقد ذكر الفضيل: أن ترك العمل لأجل الناس رياء.

ولو فتح الإنسان على نفسه باب ملاحظة الناس، والاحتراز من تطرق ظنونهم الباطلة، لانسدت عليه أبواب كثيرة من الخير، وضيع على نفسه شيئا عظيما من مهمات الدين)[2].

١٤- صفة مجالس الذكر الصحيح

تبين لنا مما سبق أن ذكر الله يتسع حتى يشمل كل طاعة لله، لأن العبادات كلها تحتاج للنية، حتى يؤجر صاحبها عليها. قال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[3].

ومن نوى بعمله وجه الله وابتغاء مرضاته فقد ذكره.

وكمال النية أن يستصحبها صاحبها في العبادة من أولها إلى آخرها، وإن كان محلها عند بدء العبادة، فهي في الصلاة تقارن تكبيرة الإحرام وكمال الصلاة

---

[1] جـ٣ ص ٤٢

[2] الأذكار ص ٩.

[3] رواه البخاري في صحيحه، وافتتحه به.

باستصحاب النية إلى السلام.

ولكن لفظ مجالس الذكر ينصرف للوهلة الأولى كما جاء فى سنته ﷺ لنوع خاص من الطاعات. هو تحلق مجموعة من الذاكرين يجتمعون على تسبيح الله وتكبيره وتحميده وتمجيده، أو على ذكره وتذكر نعمه عليهم، وخاصة نعمة الإسلام فيحمدونه تعالى على هدايته لهم للإسلام.

ومجالس الذكر على هذه الصورة من الإقبال على الله وتحميده وتمجيده وتسبيحه وتكبيره، وتذكر نعمه، وذكره تعالى، ذكرا مطلقا من كل قيد هذه المجالس وتلك صفاتها الظاهرة.

ولها صفات أخرى كريمة فهى تنزل على أهلها السكينة وتغشاهم الرحمة، وتحفهم الملائكة، ويذكرهم الله فيمن عنده.

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

(..وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)[1].

١٥- مشروعية العد فى الذكر

وردت نصوص نبوية كثيرة تفيد مشروعية العد فى الذكر.

من ذلك، عن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضى الله عنها أن النبى ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهى فى مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة، فقال: (ما زلت على الحال التى فارقتك عليها).

قالت: نعم. فقال النبى ﷺ: (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات. لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن (سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه،

---

[1] رواه مسلم جـ ٤ ص ٢٠٧٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، ورياض الصالحين ص ٢٦٨.

وزنة عرشه، ومداد كلماته)[1].

وبتدبر هذا الحديث ترى مشروعية العد فى الذكر.

فقد ضاعف ﷺ تسبيحه وتحميده. بقوله: (عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه، ومداد كلماته).

كما ضاعف هذه الأعداد التى ذكرها والتى لا يحيط بها عقل بشر، ضاعفها بتكرار الذكر بهذه الصيغة ثلاث مرات.

ويبدو أن أم المؤمنين كانت جالسة تذكر هذه المدة، من صلاة الصبح إلى الضحى.

ولكنها كانت تذكر بدون مضاعفة للمعدود.

فكانت تكرر مثلا: (سبحان الله وبحمده)، فهى مع تكرارها لهذه الصيغة كل هذا الوقت الذى يزيد على الساعتين، ولم تحصل من الثواب ما حصله ﷺ وهو لم يذكر هذه الصيغة إلا ثلاث مرات تستغرق دقيقة واحدة.

ولكنهﷺ ضاعفها بجعلها عدد خلق الله،وزنة عرش الله، ومداد كلماته، ورضى نفسه.

فرجح ذكره ﷺ على هذه الصورة ذكر أم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث.

١٦- وسائل عد الذكر ومشروعية الذكر على السبحة

يضيق بعض الناس بعد الذكر على السبحة. ويبدو أن هذا الضيق بالسبحة شئ قديم، فقد تعرض الشيخ الشعرانى لشئ من هذا، وذكر طرفا من الأدلة على أن التابعين فمن بعدهم سبح جمع منهم على السبحة، مما يدل على عدم الإنكار على

---

[1] رواه مسلم جـ ٤ ص ٢٠٩٠ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التسبيح أول النهار وعند النوم، مختصر الترغيب والترهيب ص ١٢٤.

التسبيح عليها.

قال الشيخ الشعرانى: (بلغنى أن بعض الفقهاء يعيب على من يسبح على السبحة، فقلت له: الأمر سهل فاستفتى العلماء فى ذلك، فاختلفت فتاويهم، فأغاثنى الله تعالى بمؤلف للشيخ جلال الدين السيوطى ﷺ فى الأمر بالتسبيح على السبحة وأن أول من سبح بها الحسن البصرى رضى الله تبارك وتعالى عنه).

وروى بسنده إلى أبى الحسن الصوفى، قال: رأيت فى يد عمر بن علوان الصوفى سبحة لا يفارقها، فقلت له يوما: يا أستاذ مع عظيم إشارتك، وسنى عبارتك أنت مع السبحة؟.

فقال لى: (هكذا رأيت الجند بن محمد رضى الله تعالى عنهما وفى يده سبحة).

فسألته عنها.

فقال: (هكذا رأيت عامر بن شعيب وفى يده سبحة، فسألته عما سألتنى عنه).

فقال لى: (يا بنى هذا شئ كنا استعملناه فى بداية أمرنا، وما كنا بالذى نتركه فى نهاية أمرنا).

(فإنى أحب الآن أن أذكر الله تعالى بلسانى وبقلبى وبيدى وبسبحتى).

فهذا شئ تداوله التابعون ومن بعدهم إلى عصرنا هذا من غير نكير فيما بينهم لا ينبغى إنكاره.

وهو نظير ما ورد فى التسبيح على الحصى، وعقد الأصابع بلا شك. فافهم ذلك والله يتولى هداك. وهو يتولى الصالحين[1].

والإمام الشعرانى يشير بذلك، إلى ما رواه سيدنا سعد بن أبى وقاص ﷺ . (إنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به. فقال: (أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا) أو (أفضل). فقال: سبحان الله عدد ما خلق فى السماء وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك،

---

[1] لطائف المنن ص ٥٣٤.

وسبحان الله عدد ما هو خالق. والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك)[1].

فرسول الله ﷺ لم ينكر عليها التسبيح على الحصى أو النوى الذى هو أصل التسبيح على السبحة، فليست السبحة إلا حصى أو نوى سلك فى خيط ليجمع شتاته، وليسهل حمله.

أقول: لم ينكر عليها ﷺ التسبيح على الحصى والنوى، وإنما أرشدها إلى ما هو أيسر فحسب، أو أفضل. ومن المعلوم أن أفعل التفضيل يقتضى الاشتراك هنا فى أصل الفضل.

هذا وقد اعترض معترض على التسبيح على السبحة، وعد الذكر بها، فسألته، وكان ذلك بالمسجد الحرام بمكة المكرمة، وأمام الكعبة المشرفة سألته: هل يجوز للإنسان أن يلتزم بطريق النذر بذكر عدد معين من صيغ الذكر، كالذكر بـ (لا إله إلا الله) فى كل ليلة عشرة آلاف مرة. وهى أفضل ما قاله المصطفى ﷺ والنبيون من قبله؟.

فقال المعترض: نعم يجوز نذر مثل هذا.

فقلت له: وإذا نذره فهل يجب عليه الوفاء به؟.

قال المعترض على الذكر على السبحة: نعم.

قلت له: فكيف يعد العشرة آلاف كل ليلة؟

فأفحم بعد محاولات منه يائسة لمحاولة إقناعى بأن يمكن العد على عقد الأصابع.

ولما أفحم تماما، بعد أن جلست منه مجلس التلميذ من أستاذه.

أسأل أنا ويجيب هو كأستاذ.

أقول: لم أفحم تماما، أخذ يقول: أتفحمنى. أتفحمنى.

ويكررها وهو يسرع بالابتعاد عنى.

---

[1] رواه الترمذى، وقال حديث حسن.

١٧- فضل الذكر فى الأسواق ومواطن الغفلة

يقول تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ (الجمعة: ١٠).

قال ابن رجب: (فأمر بالجمع بين الابتغاء من فضله، وكثرة ذكره).

ولهذا ورد فضل الذكر فى الأسواق ومواطن الغفلة، كما فى المسند والترمذى وسنن ابن ماجة عن ابن عمر مرفوعا.

(من دخل سوقا يصاح فيه ويباع فقال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شىء قدير) كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة)[1].

وفى حديث آخر: (ذاكر الله فى الغافلين كمثل المقاتل عن الفارين، وذاكر الله فى الغافلين كشجرة خضراء فى وسط شجر يابس)[2].

قال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود: (ما دام قلب الرجل يذكر الله فهو فى صلاة، وإن كان فى السوق، وإن حرك به شفته فهو أفضل).

وكان بعض السلف يقصد السوق ليذكر الله فيها بين أهل الغفلة.

والتقى رجلان منهم فى السوق، فقال أحدهما لصاحبه: تعال حتى نذكر الله فى غفلة الناس، فخلوا فى موضع فذكرا الله، ثم تفرقا، ثم مات أحدهما فلقيه الآخر فى منامه، فقال له: (أشعرت أن الله غفر لنا عشية التقينا فى السوق؟)[3].

وإنما ضوعف للذاكر فى مواطن الغفلة، لأنه استطاع أن يذكر الله فيها مع كثرة الصوارف عن ذكر الله فيها، من اشتغال الإنسان فيها بالبيع والشراء، والمماكسة فى

---

(١) المسند والترمذى وسنن ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا.

(٢) المسند والترمذى وسنن ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا

(٣) جامع العلوم والحكم ص ٤٢٠، ٤٢١.

البيع والشراء وبغير ذلك مما هو معلوم مشاهد، فكثرة النـــاس وتقلبـــهم فى البيـــع والشراء تشغل كذلك المشاهد لهم إلى الانشغال بملاحظتهم ومتابعة أحوالهم.

فمن استطاع التخلص من ذلك كله استحق مضاعفة المثوبة، فضـــلا مـــن الله ونعمة.

١٨- أصل الحركة فى الذكر

تغلب على كثير من الذاكرين، وخاصة الذاكرين لله. بـــ (لا إلــــه إلا الله) أو بالاسم المفرد، تغلب عليهم الحركة.

ويواجهون من الإنكار عليهم الكثير بسبب الحركة فى الذكر، كأن الحركـــة فى العبادة ليست مشروعة.

ولو تدبر المنكرون فى كثير من العبادات لوجدوا الحركة ركنا من أركانها.

فالصلاة وهى عماد الدين، أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمـــة بالتســـليم، فالأفعال جزء منها.

وهى بين قيام وركوع وسجود.

والطواف، إن هو إلا جرى حول الكعبة.

وقد صرح ابن رجب الحنبلى بالحركة فى الذكر من الصحابة.

قال: (وصف علي يوما الصحابة فقال: (كانوا إذا ذكروا الله مادوا كما تميـــد الشجرة فى اليوم الشديد الريح، وجرت دموعهم على ثيابهم)[1].

وما لهم لا يتحركون ويميدون كما يميد الشجر فى اليوم الشديد البرد.

وهم بين أنس غامر، وهيبة وإجلال، وشوق لا يوصف.

قال زهير البابى: إن لله عبادا ذكروه فخرجت نفوسهم إعظاما واشتياقا وقـــوم ذكروه فوجلت قلوبهم فرقا وهيبة، فلو حرقوا بالنار لم يجدوا مس النار، وآخـــرون ذكروه فى الشتاء فارفضوا عرقا من خوفه. وقوم ذكروه فحالت ألوانهـــم، وقـــوم

---

[1] جامع العلوم والحكم ص٤١٨.

ذكروه فجفت أعينهم سهرا[1].

١٩- العاصي إذا ذكر الله ذكره الله بلعنته حتى يسكت

قال تعالى ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ (البقرة:١٥٢).

وفى الحديث الصحيح: يقول الله تعالى: (فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه)[2].

وقد سبق فى فصل ثمرات الذكر. ذكر الله عز وجل لمن يذكره بنفحاته وهباته وألطافه.

هذا شأن ذاكر الله إذا كان من أهل الطاعة.

فما هو شأن ذاكر الله المرتكب للكبائر. ولم يتب منها؟

والجواب عن ذلك ذكره ابن أبى حاتم فيما رواه بسنده عن مكحول الأزدى.

قال: قلت لابن عمر: أرأيت قاتل النفس وشارب الخمر والسارق والزانى يذكر الله. وقد قال الله تعالى: ﴿فاذكرونى أذكركم﴾.

قال ابن عمر: إذا ذكر الله هذا ذكره الله بلعنته حتى يسكت[3].

وليس معنى هذا أن يترك العاصى ذكر الله عز وجل، فتلك معصية أخرى ولكن معناها أن يسارع العاصى بالتوبة النصوح التى تشمل الإقلاع عن المعصية، ورد الحقوق لأصحابها، وأداء ما تركه العبد من فرائض، والعزم على عدم العود للمعصية، والإقبال على طاعة الله آنذاك بذكر الله، فيذكره بنفحاته وهباته وإحسانه.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

---

[1] جامع العلوم والحكم ص٤١٨، ٤١٩.

[2] اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ ٣ص٢٢٣ رواه البخارى ومسلم.

[3] ابن كثير جـ ١ ص ١٩٦.

٢٠ـ صيغ نبوية للذكر جامعة

الصيغ الجامعة تقوم مقام كثير الذكر بغيرها

لقد أمر الله تعالى بالإكثار من ذكره عز وجل فسارع الصحابة رضوان الله عليهم للإكثار من ذكره تبارك وتعالى.

وتفننوا فى كيفية الإكثار من ذكره عز وجل، وعد ذلك بوسائل مختلفة حرصا منهم على أن يذكر الواحد منهم ما ألزم نفسه به.

والصادق المصدوق لما رأى منهم ذلك، أخذ بأيديهم وعلمهم من صيغ الذكر الجوامع ما يقوم الذكر بصيغة منها، مقام الذكر الطويل بغيرها.

عن سعد بن أبى وقاص أنه دخل مع النبى ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو قال: حصى تسبح به.

فقال: (ألا أخبرك بما هو أيسر من هذا أو أفضل: سبحان الله عدد ما خلق فى السماء، وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق. والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك)[١].

وعن أم المؤمنين السيدة صفية قالت:

دخل على رسول الله ﷺ، وبين يدى أربعة آلاف نواة أسبح بها. فقلت لقد سبحت بهذه فقال: (ألا أعلمك بأكثر مما سبحت)؟ فقلت: علمنى.

فقال: قولى (سبحان الله عدد خلقه)[٢].

وعن أبى أمامة أن النبى ﷺ مر به، وهو يحرك شفتيه.

فقال: (ماذا تقول يا أبا أمامة)؟

قلت: أذكر ربى.

---

[١] أخرجه أبو داود و الترمذى، والنسائى.

[٢] رواه الترمذى.

قال: (ألا أخبرك بأكثر أو أفضل من ذكرك الليل مع النهار والنهار مع الليل؟ أن تقول: سبحان الله عدد ما خلق، سبحان الله ملء ما خلق،سبحان الله عدد ما فى الأرض والسماء، وسبحان الله ملء ما فى الأرض والسماء، وسبحان الله عدد ما أحصى كتابه، وسبحان الله ملء ما أحصى كتابه، سبحان الله عدد كل شئ، وسبحان الله ملء كل شئ، والحمد لله مثل ذلك)[1].

ونلمس من قول المصطفى ﷺ أن هذه الصيغ أشبه بالجواهر النفيسة فقد قل لفظها وعظم ثوابها.

كما أن هذه الصيغ تشهد لجواز الصلاة على رسول الله ﷺ بالصيغ الواردة فى دلائل الخيرات، فكلها فيها مضاعفة للصلاة عليه ﷺ بمثل ما ورد عنه ﷺ فى هذه الصيغ الجوامع لذكره تبارك وتعالى.

ومن هنا أيضا كانت للسلف الصالح صيغ جوامع يذكر بها كل منهم.

روى ابن أبى الدنيا بإسناده عن المعتمر بن سليمان التيمى قال: (كان أبى يحدث خمسة أحاديث ثم يقول: أمهلوا).

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق، وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق، وملء ما خلق وملء ما هو خالق، وملء سماواته وملء أرضه. ومثل ذلك وأضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه، ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى، وإذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه فيما مضى وعدد ما هم ذاكرونه فيما بقى، فى كل سنة وشهر وجمعة، ويوم وليلة وساعة من الساعات، وتنسم وتنفس، من الأبد إلى الأبد، أبد الدنيا والآخرة أبدا لا ينقطع أولاه لا ينفد آخره)[2].

ويروى ابن رجب الحنبلى عن ابن أبى الدنيا. ما يؤكد عظم ثواب هذه الصيغة

---

[1] رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه. جامع العلوم والحكم ص ٤٢٤.

[2] جامع العلوم والحكم ص ٤٢٤، ٤٢٥.

فى شكل رؤى رآها بعض الصالحين فى منامهم.

والرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة. كما جاء فى الصحيح من سنة رسول الله ﷺ.

يروى ابن أبى الدنيا بإسناده عن المعتمر بن سليمان قال:

رأيت عبد الملك بن خالد بعد موته فقلت: ما صنعت؟.

قال: خيرا.

فقلت: ترجو للخاطئ شيئا؟.

قال: يلتمس علم تسبيحات أبى المعتمر. نعم الشىء[1].

---

(1) المصدر السابق ص ٤٢٥.

